فقال للإمام: ما يقنعني هذا إنما أريد منك أن يحكم لي بأني أشعر من المتنبي، فقال الإمام: ليس هذا إليّ، هذا إلى السيد مُطهّر صاحب الفصّ فإنه هو المشار إليه في علوم الأدب ومعرفتها، فقام إليه وعرض عليه ذلك بإشارة الإمام، فقال له: هذا المتنبي يقول في صباه: [من البسيط]

أبلى الهَوَى أسفاً يومَ النَّوى بَدني[1]

ثم قال له: يا هذا إن للمتنبي ثلاثمائة وستين مثلاً يتمثل بها الخليفة فمن دونه وأمثاله لا اعتراض فيها لأحد، فائْتِنا أنت بثلاثة أمثال لم يسبق إليها، فقام من عنده ورجع إلى الإمام وقال له: إن السيد له إلمام بالأدب ولي به إلمام فحسدني، ولم يَقْضِ لي بشيء، فقال له الإمام: لا يفضلك أحد على المتنبي بعده، ولكن أقول لك: يا محمد لو نطقت في أذن حمار لَصَهَل. وكان معجباً بشعره متغالياً في استحسانه بحيث يفضله على شعر المتنبي، فَيُستهجن لذلك. ومن مدحه في الإمام المذكور: [من الكامل]

يا وَجْهَ آلِ مُحمَّدٍ في وَقتِهِ ... لم يَبْقَ بَعْدَكَ مِنْهُم إلَّا قَفَا
لو كانتِ الأبرارُ آل مُحمَّدٍ ... كُتُبَ العلومِ لَكُنت منها مُصْحَفا
أو كانتِ الأسباط آل مُحمَّدٍ ... يا ابنَ الرَّسُولِ لَكُنْتَ مِنْهُم يُوسُفا

وتوفي ليلة الجمعة سابع رجب سنة ٨١٥ خمس عشرة وثمانمائة بمكة.

٤٣٦

(السيد مُحمَّد بن الحَسَن ابن الإمام القاسِم بن مُحمَّد)[2]

ولد لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ١٠١٠ عشرٍ وألف، وهو الرئيس الكبير والأمير الخطير، ربي في حجر الخلافة، وترقّى في الكمالات حتى بلغ منها الغاية، وقرأ على جماعة كالقاضي أحمد بن يَحْيَى حَابس، والقاضي صديق بن رسام. ولما مات والده في تاريخ موته المتقدم في ترجمته وبلغ الإمام المؤيد باللَّه مُحمَّد بن القاسم، أمره بالنفوذ إلى بلاد ضوران، وما زال متردداً في الديار اليمنية، وسكن في آخر مدته مدينتي أب وذي جبلة، وكثر جيشه وعَظُمت ولايته وصار غالب الجهات اليمنية تحت ولايته لا ينفذ فيها أمر لغيره، وهو يمتثل أمر الإمام المؤيد باللَّه تديّناً

(١) ديوان المتنبي: ١/ ١١٧؛ وعجزه: «وفَرَّقَ الهَجْرُ بَيْنَ الجَفْنِ والوَسَنِ».
(٢) ترجمته في: الأعلام: ٦/ ٨٩؛ معجم المؤلفين: ٩/ ٢٠٩؛ هدية العارفين: ٢/ ٢٩٢؛ إيضاح المكنون: ٢/ ٤.

وانقياداً، لا قهراً. ولما مات الإمام المؤيد باللَّه دعا صاحب الترجمة إلى الرضى من آل مُحمَّد، فلما بلغته دعوة عمّه المتوكل على اللَّه إسْماعيل بن القاسِم انقاد وأطاع وبايع، وولّاه الإمام المتوكل على اللَّه جميع اليمن الأسفل، وهو مشتمل على مدن كثيرة ومواد المملكة في الغالب منه. وما زال أمره في ازدياد وسعادته في ظهور وأمره في نمو إلى أن مات. وكان يجعل شطر إقامته باليمن والشطر الآخر بصنعاء والروضة. وقرأ في هذه المدة تذكرة النحوي على مُحمَّد بن صلاح السلامي، والفقيه أحمد بن سَعيد الهبل، وقرأ الفصول اللؤلؤية على القاضي إبراهيم بن يَحْيَى السحولي. وفي سنة (١٠٧٩) طلع من اليمن إلى صنعاء، واجتمع بالإمام المتوكل على اللَّه، ثم بدا به المرض، قيل: وهو ذات الجنب، (فمات) بدرب السلاطين من الروضة في ليلة الخميس ثامن شهر ربيع الأول سنة ١٠٧٩ تسع وسبعين وألف، وأقرّ الإمام ولاية البلاد التي كانت تحت يده بيد ولديه السيد يَحْيَى بن مُحمَّد، والسيد إسْماعيل بن مُحمَّد، فمات يَحْيَى عقب موت والده، فبقي بيد إسماعيل جهة العدين فتوجّه إليها فمرض عند وصوله إليها ومات بها. وقد رثى صاحب الترجمة جماعة من شعراء عصره، ومن جملة من رثاه ولده إسماعيل بقصيدة مطلعها: [من المديد]

هَـلْ أقـالَ الـمـوت ذا حَـذِرِهْ سَـاعـةً عـنـدَ انْـتِـهـا عُـمـرِهْ

ورثاه الشيخ إبراهيم الهندي بقصيدة مطلعها: [من البسيط]

قَـضَـى الـفَـخـار فـلا عـيـنٌ ولا أثـرُ واحْلَوْلكَ الخطبُ لا شمسٌ ولا قَمرُ[1]

وله مؤلف سمَّاه (سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد) في علم الكلام، و(شرح المرقاة) تأليف جده الإمام القاسِم. وله جواب مبسوط في حديث ستفترق أمتي، على شيخ أحمد بن مطير، كذا قال في مطلع البدور.

(٤٣٧)

(السيد مُحمَّد بن الحَسَن المعروف بالمُحتسب)

ولد تقريباً سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف أو قبلها بقليل، وأخذ العلم عن جماعة من علماء صنعاء، ولازم السيد العلَّامة مُحمَّد بن مُحمَّد المعروف بالبنوس، واستفاد في العلوم الآلية، وشارك في علم السنّة مشاركةً قويةً، وعمل بالأدلة، ولم يقلد أحداً. وهو بمكان عظيم من حسن الخلق والتودّد واطّراح الدعاوى التي يتعلق بها كثير من أهل العلم. وله اتّصال بمولانا الإمام المتوكل وبأولاده، وهو صالحٌ

(١) احْلَوْلَكَ الشيء: اشتدت حُلكته، أي سواده. الخَطْبُ: الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب.